



تمهيد

في فترة الستة الشهور ما بين نشر "الجدار في فلسطين، حقائق، شهادات، تحاليل ودعوة للعمل" والتقارير رقم (١)، قامت شبكة المنظمات البيئية الفلسطينية من خلال حملة وقف جدار الفصل العنصري بالتعبئة لـ ومع المواطنين الفلسطينيين في المناطق المتضررة من الجدار. ويأتي نشر هذا التقرير بهدف لفت الانتباه إلى آثار الجدار المدمرة على المواطنين الفلسطينيين، وعمليات التدمير والمصادرة للأراضي والمصادر الفلسطينية، بالإضافة إلى التشديد على دور الجدار في تدعيم الاحتلال والتضييق الإسرائيلي على فلسطين. تطورت خارطة الجدار خلال الستة الأشهر الماضية من مصادرة الأراضي الواقعة شرق الخط الأخضر إلى فرض حصار كامل على الضفة الغربية بحيث تبدو كأنها في قفص، وشق الأراضي بهدف التوسع في المستوطنات محولة الضفة الغربية إلى "غيتوهات" (قطع منفصلة) محددة الشكل المستقبلي لفلسطين.

يقدم هذا التقرير آثار الجدار على الفلسطينيين من خلال إلقاء الضوء على الخراب والدمار والآثار الاجتماعية-الاقتصادية على حياة الناس الذين يعيشون الرعب الذي تسبب به جدار الفصل العنصري. يؤثر الجدار بشكل خفي على جميع نواحي حياة الفلسطينيين بما في ذلك قدرتهم على الحصول على الخدمات الأساسية والعمل وفقدان الأراضي، مؤثراً على قدرتهم في الاستمرار في إعالة أنفسهم. وقد حرصنا على شرح جميع هذه النواحي بالتفصيل في أجزاء التقرير المتعلقة بـ "المرحلة الأولى" من الجدار في المحافظات الشمالية جنين قلقيلية وطولكرم بالإضافة إلى الأجزاء المتعلقة بمناطق القدس وبيت لحم. ويحتوي التقرير كذلك على مجموعة حالات دراسية وشهادات شخصية تم جمعها من السكان المقيمين في المناطق الفلسطينية المتأثرة بالجدار، بهدف إعطاء صورة أكثر وضوحاً عن الواقع الذي يعيشه الناس في المدن والقرى ومخيمات اللاجئين الواقعة قرب الجدار. وأخيراً، يقدم هذا التقرير تحليلاً قانونياً وسياسياً مميزاً وعدة مقالات لخبراء في المجال القضائي والسياسي والبيئي بهدف زيادة الوعي حول الوجوه المتعددة للجدار وآثاره بعيدة المدى.

إن عملية البحث والكتابة من أجل إعداد هذا التقرير ما كانت لتكون ممكنة بدون المساهمة الكبيرة التي قدمها عدة أفراد يعدون جميعهم جزءاً لا يتجزأ من حملة وقف جدار الفصل العنصري بما في ذلك المنظمات الأعضاء في شبكة المنظمات البيئية ومكاتب الطوارئ الخاصة بالحملة، والمتطوعون الذين كان لهم دور مميز في جمع آخر المعلومات المستجدة بالنسبة للجدار وآثاره الرهيبة على حياة الفلسطينيين، وتبقى عملية التعبئة والإسهام التي قدمها أشخاص ومصادر من المناطق الفلسطينية نفسها، المصدر الرئيسي للتشجيع والدعم والقوة الدافعة لإنجاز هذا التقرير على أحسن وجه.

يتوقع أن يكون التقرير الذي سيتم نشره بالعربية والإنجليزية مصدراً أساسياً للمعلومات حول الجدار، وفي الوقت نفسه فإنه يؤكد على أهمية الحملة وضرورة تعبئة الرأي العام في فلسطين ودولياً حول الدمار الذي يسببه الجدار. الحملة ستستمر في الاعتماد على جماعات التضامن الدولية لدعم الحملة ومطالبتها بوقف الجدار. ويرى التقرير الذي انتهى إعداده في حزيران ٢٠٠٣، في الوقت الذي تم الانتهاء فيه من بناء ٣٠ كم تقريباً من أصل ٣٦٠ كم من الجدار، أن المطالبة بوقف بناء الجدار أمر ضروري وممكن وأكد.

مقدمة: ما الجدار الفاصل؟

الجدار: تدمير حالي ومخططات مستقبلية

في شهر حزيران ٢٠٠٢، بدأت إسرائيل في تطبيق المرحلة التالية من سياستها التوسعية والقمعية ببناء جدار داخل الضفة الغربية يمتد على طول الضفة الغربية، وكما هو متوقع، طريق الجدار المتوسع بشكل مستمر يقوم على منطوق مصادرة الأراضي والسيطرة عليها، بما في ذلك ضم المستوطنات، ومحاصرة المناطق السكنية الفلسطينية. وعلى عكس ما تظهره التقارير الإخبارية على مستوى العالم، فإن الجدار (أو كما يدعى "السياج"، "حاجز الفصل"، و"خداعا" "السياج الأمني")، لن يقوم على حدود عام ١٩٦٧، أو ما يعرف بالخط الأخضر. الجدار في الحقيقة انتزاع للأرض وتحديد لمصير الأراضي المحتلة وفلسطين.

حاليا، يمكن مشاهدة معالم الجدار وتأثيراته في مرحلته الأولى في قلقيلية، طولكرم، وجنين، بموازاة البناء والهدم من أجل الجدار في القدس وبيت لحم. في جميع هذه المناطق، شارف الجدار على الانتهاء، فقد أعلنت إسرائيل الانتهاء من ٢٧ كم من الجدار في شهر نيسان عام ٢٠٠٣. في مناطق المرحلة الأولى وحدها، والتي تمثل ثلث الجدار (في صيغته القصيرة). خمس وستون منطقة سكنية فلسطينية ستتضرر، أي أكثر من ٢٠٠,٠٠٠ إنسان فلسطيني. حتى الآن، كان هناك تدمير هائل في المناطق الفلسطينية، مثل تدمير الأراضي الزراعية، وتعطيل شبكات الري، وعزل مصادر المياه إضافة إلى تدمير المنازل والبنى التحتية الفلسطينية، وعلى ذلك يمنع المواطنون من الوصول إلى أراضيهم، محالهم التجارية، التنقل من أجل العمل وزيارة الأهل والأقارب. تبين المرحلة الأولى من الجدار آثاره الموجودة فعليا، والمتوقعة من وجوده واستمراره.

يمتد الجدار زاحفا إلى داخل الضفة الغربية عند نقاط تزيد على ٦ كم، كما في جيوس واسلا في محافظة قلقيلية، مصادرا مساحات شاسعة من أراضي الفلسطينيين. وسط هذه الاحتمالات المدمرة "والتطورات"، شارفت الحكومة الإسرائيلية على المصادقة النهائية على توسيع مخطط الجدار بحيث يمتد حوالي ٦ كم شرقا داخل الضفة الغربية، بهدف ضم مستوطنات مثل "اربييل"، "امانويل"، "وكدوميم". في نفس الوقت، أعلن في آذار الماضي أنه سيبدأ العمل قريبا في جدار ثان يمتد بمحاذاة الأول على طول وادي الأردن، وعلى طول وادي الأردن وبمحاذاة الجدار الأول، مع وجود الجدار الممتد وبناء الثاني، ستقوم إسرائيل بعزل ما يقارب نصف الضفة الغربية _ وسط خطط للسيطرة المباشرة _، حيث يمتد الجدار على طول يزيد على ٦٥٠ كم.

اليوم، في القدس، يعزز الجدار العزل الكامل لقلب فلسطين. في الماضي كانت المركز التجاري، والاجتماعي، والديني والتاريخي للضفة الغربية، وفلسطين التاريخية ما قبل ١٩٤٨، الغالبية العظمى من الفلسطينيين لا تستطيع الوصول إلى المدينة في ظل نظام الإغلاق الإسرائيلي، الذي بدأ قبل عشرة أعوام، ويزداد قوة حاليا بإقامة الجدار. في بيت لحم، التي تشكل أيضا مركزا دينيا وثقافيا في فلسطين، قام الجدار بقطع الصلة بين المدينة والقدس، وبينها وبين بقية الضفة الغربية، وبين القرى الموجودة في حدودها.

كما يتوقع إقامة جدار إضافي شرقي الخط الأخضر وبشكل مواز للأول. هذا الجدار الإضافي مع أجزاء من ما يسمى "طريق عابر إسرائيل" سيعزل العديد من المناطق السكنية الفلسطينية بين الجدار والخط الأخضر. عملا على إبعاد المواطنين عن قراهم. الجدار هو استمرار وتعزيز لسياسة الاحتلال الهادفة إلى زيادة اضمحلال المناطق الفلسطينية الممزقة. الحديث عن تأثير الجدار على حياة الفلسطينيين - مهما كان مفصلا - لا يمكن أن يعبر إلا عن جزء قليل من هذه الآثار.

بنية الجدار:

يأخذ الجدار عدة أشكال مادية، ففي قفيلية، يتكون الجدار من الاسمنت بارتفاع ٨ أمتار تنتشر على طوله أبراج المراقبة، في أماكن أخرى يتكون الجدار من سلسلة من الأسبجة بعضها مكهرب، ويمكن أن تشمل بعض أو كل التالي: خنادق، شوارع، أسلاك شائكة، كاميرات، طرق لتقفي آثار الأقدام، مناطق عزل، وامتداد للعرض ما بين ٧٠ إلى ١٠٠ متر. الجدار في بيت لحم، يتكون من البنيتين، السياج (من ضمنها المكهرب)، مناطق العزل، مجسات، خنادق، وأسلاك شائكة، ويشمل شارع التفافيا، وذلك لعزل المدينة تماما عن الضفة الغربية، بالإضافة إلى جدار من الاسمنت يطوق جزءا من المجتمع. مهما اختلفت أشكال البناء، فإن آثاره تبقى نفسها.

فكرة الجدار ليست جديدة، نظريا أو حرفيا. الحديث داخل إسرائيل وإنشاؤها للحواجز القائمة وعزل المجتمعات الفلسطينية، كان سابقا للانتفاضة. بالرغم من أن الجيش الإسرائيلي والحكومة عملا على إبقاء معظم مخططات الجدار سرية. الخرائط الموجودة حاليا للجدار، الجدار الممتد، والجدار الثاني، قد وضعت على أساس أوامر الجيش الإسرائيلي بمصادرة الأراضي والتي سلمت للمزارعين، مرفقة بخرائط صغيرة لقراهم، وضعها مجلس المستوطنين "بيشع"، بدعم من وزارة الدفاع الإسرائيلية. إضافة إلى أن بيانات وتسريبات جيش وحكومة الاحتلال إلى الإعلام الإسرائيلي والمحكمة الإسرائيلية، بالرغم من كونها متفرقة، شكلت مصدرا لا بأس به للمعلومات. رسميا، رفضت الحكومة الإسرائيلية نشر خارطة للجدار، بينما لم يكن هناك حيازة عامة لخرائط المرحلة الأولى من الجدار حتى بدء الهدم، وكانت هذه الخرائط تظهر - عادة - بشكل غير مباشر عن طريق خارطة أعطيت لمنطقة معينة أو قدمت لقاض إسرائيلي في جلسة استماع في المحكمة.

تحديد المصير:

يؤكد البيان الرسمي الإسرائيلي على أنه ستكون هناك نقاط عبور للناس (ليست بالضرورة إنسانية) والبضائع عبر الجدار. بينما لا يعني ذلك أن هذه الأقوال ستتحول إلى فعل على أرض الواقع. حيث إن نظام التصاريح الإسرائيلي - وهو ادعاء مشهور - قد وضع من أجل الإغلاق وانتهاك حرية التنقل. بالإضافة إلى أنه وفقا لمنظمة حقوق الإنسان الإسرائيلية "بتسيلم" - فإن إسرائيل لم تخصص في ميزانيتها السنوية المبالغ المالية اللازمة لتمثل هذه المعابر، وإعطاء المزيد من الوقت للأراضي في مناطق المرحلة الأولى لتتحول إلى أرض جرداء. إن مصادرة الأراضي ومعاناة الإنسان في الأراضي المحتلة والتي تفوق الوصف جاءت نتيجة قدرة إسرائيل على الاستمرار في سياساتها القمعية والتعسفية بحق الفلسطينيين، مرفقة بقدرتها على الكلام العذب.

في أوساط المجتمعات التي تواجه التدمير الإسرائيلي، كانت الاحتجاجات على الصعيد الدولي والمحلي غير كافية. فالقرى حيث يتم بناء الجدار، أظهرت مشاعر الإحباط لقلة دعم السلطة الوطنية الفلسطينية لمعاناتهم، ويطالب المواطنون في تلك المناطق السلطة باتخاذ موقف حازم ضد بناء الجدار، ووضع شروط مسبقة قبل التفاوض مع الإسرائيليين، مثل وقف بناء الجدار، وإعادة الأراضي المصادرة إلى أصحابها الشرعيين، وتعويض الأشخاص الذين دمرت أراضيهم وممتلكاتهم. أما على الصعيد الدولي، فإن محدودية المعلومات المفصح عنها فيما يتعلق بالجدار تدل على التناقض بين ما هو موجود على أرض الواقع وبين ما يعلن عنه رسميا. الحاجة إلى معرفة الواقع أصبحت حاسمة وضرورية.

الجدار الممتد وجدار وادي الأردن معا يضعان خارطة للضفة الغربية تقسمها إلى قسمين مع منطقتين كبيرتين مفصولتين في الوسط، تقع ضمنهما عدة مناطق سكنية منفصلة بدون حرية تنقل، ومحاطة بالمستوطنات والقواعد العسكرية والطرق الالتفافية ونقاط التفيتش باكتمال بناء الجدار الممتد والجدار الثاني، ستقسم الضفة الغربية إلى ثلاثة كانتونات منفصلة حيث الحركة شبه مستحيلة. مما يجعل المفاوضات التي تسعى إلى التوصل لإقامة دولة فلسطينية مستقلة مجرد وهم، فالجدار في الواقع - والذي ترى الحملة أن الاسم الأكثر مناسبة له هو جدار الفصل العنصري - مؤشر على التصور الإسرائيلي الفعلي للدولة الفلسطينية، والذي يقوم على تدعيم ممارسات وإجراءات الاحتلال الظالمة وغير العادلة بحق الشعب الفلسطيني.